كرمة ابن هانئ

من نظم أمير الشعراء

أحمد شوقي

عني بجمعه

توفيق الر افعي

الكتاب: كرمة ابن هانئ.. من نظم أمير الشعراء (أحمد شوقي)

جمع : توفيق الرافعي

الطبعة: ٢٠٢١

صدرت الطبعة الأولى عام ١٩٢٣

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com E-mail: info@bookapa.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

؟؟؟؟ ، ؟؟؟؟؟

كرمة ابن هانئ.. من نظم أمير الشعراء (أحمد شوقي) / جمع : توفيق الرافعي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

٥٩ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولي: ٧ – ٠٥٦ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢١٨٠٦ / ٢٠٢٠

كرمة ابن هانئ

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على صفوة الأنبياء والمرسلين، وبعد فلا مشاحة في أن لدولة الأدب القدح المعلى في وضع دعائم نهضات الأمم وبناء صروح المجد ونشر آيات البيان ولا مشاحة في أن أمراء القول وملوك القريض هم خير من حمل ألوية قيادة الشعوب. يؤكد لك هذا أو يجعله مرتكزا في مقر التصديق منك أول نظرة تلقيها على صفحة من صفحات التاريخ في تاريخ حماة البطولة.

ولا مرية في أننا نحن الشرقيين الآن في إبان نهضتنا ودور انتقالنا المبارك نحتاج إلى الاسترشاد بآراء رجال الرأي وبعد النظر من حنكتهم سنّ أو ثقف عقولهم نافع علم، حتى نأمن العثار في سيرنا ونكون في مأمن من الزلل وعلى بصيرة في العمل بعيدين عن الغرور بنشوة التغلب على جيوش الجهل والنصرة على دسائس المفسدين.

لا خلاف في أن حضرة صاحب السعادة "أحمد شوقي بك" سيد من قصَّد القصيد في زماننا، فأتى بالمعجزات الباهرات والآيات البينات فهو بحق أمير الشعراء ورافع شارة الخطباء.

لهذا عنَ لنا أن ننشر له بعض قصائد من شعره هن عيون الشعر وغرة في جبين القريض، ويقيننا أنه يحل أسمى محل من نفوس القراء فقد

يجد فيه الأديب والمتأدب ضروبا من الآداب العربية والأفكار العصرية كما يجد فيه الحكيم عبرة وعظة نافعة والسياسي آراء في السياسة صائبة وأنواعا من الدهاء مختلفة.

وغني عن البيان أن شوقي بك بالنسبة لعصره المتحضر، وامتلاء أيامه بالحوادث الجسام، وما أثر في نفسه مما رأى في الشرق والغرب وما وقف عليه من تاريخ الأقدمين، وآثار الغابرين، وأمور الحاضرين، وما طبع عليه من النبوغ والعبقرية، جعلته في منزلة فوق منزلة غيره من معاصريه.

وقد اخترنا أن نسمي كتابنا هذا "كرمة بن هانئ" اقتداء بأميرنا في تسمية بيته في مطرية الزيتون بهذا الاسم.

أجل إن شوقي بك قد أطلق على بيته هذا الاسم وإنا لا نزال نجد روائح التواضع تعبق منه على أنه لو أطلق على بيته ما يشير إلى مقارنته بأبي عبادة البحتري لما كان مغاليا، فإن بين شعره وشعر أبي عبادة مناسبة كبرى هي أن قولهما السحر الحلال والسهل الممتنع.

هذا وقد كان في نيتنا أن نذيل هذه المجموعة بفصل ننشئه في المفاضلة بين ابن هانئ القديم وابن هانئ الحديث، ولكن أعجلنا عن ذلك تشعب البحث في هذا الموضوع والحاجة في تناوله وإتمامه إلى وقت طويل لا نملكه اليوم، والله المسئول أن يوفقنا إلى ذلك فنضع في

هذا المعنى كتابا قائما بنفسه ليعلم القارئ صحة ما ذهبنا إليه من تواضع شاعرنا في تسمية بيته وأحقية اقترانه بأبي عبادة.

وعلى الجملة أن مثلنا في هذا الكتاب الذي نتقدم به إلى القراء –كما قال ابن المقفع – مثل من وجد فصوصاً وجواهر فأخذها ونسقها بوضعه كل شيء منها في محله.

فلا عمل لنا فيه إلا أننا نتبناه وانتقينا مادته واخترنا قصائده فإن أصبنا البغية وأدركنا الغاية، فهذا ما كنا نصبو إليه ونكون بذلك قد خدمنا الأدب العربي بجمع ما تفرق وتألي ما تشتت وإن كان الفضل في الأول والآخر في خدمته لشاعرنا العظيم "شوقي بك" فقد خدم الأدب العربي خدمة لا ينقطع برها وعند الله والناس شكرها.

وإن كانت الأخرى فنكون قد نلنا اجر المجتهد..

والله ولي التوفيق.

توفيق الرافعي

القاهرة في مارس سنة ١٩٢٣

نهج البردة

رِيمٌ علـى القـاع بـين البـان والعلـم ... أحـل سـفك دمـي في الأشـهر الحـرُمِ[1]

رمى القضاء بعيني جُؤذر[2] حاسدا ... يا سـاكن القـاع أدرك سـاكن الأجـمِ[3]

لمـــا رنا حـــدثتني الـــنفس قائلـــة ... يا ويـح جنبـك بالسـهم المصـيب رمـي

جحـدتها وكتمـت السـهم في كبـدي ... جـرح الأحبـة عنـدي غـير ذي ألمِ

رزقـت أسمـح مـا في النـاس مـن خلـق ... إذا رزقـت التمـاس العـذر في الشـيم

يا لائمـــي في هـــواه والهـــوى قـــدرٌ ... لـو شـفك الوجـد لم تعـذل ولم تلـمِ

لقـــد أنلتـــك أذناً غـــير واعيـــة ... ورب منتصـــف والقلـــب في صـــمم

يا ناعـس الطـرف لا ذقـت الهـوى أبـداً ... أشـــهرت مضـــناك في حفـــظ فـــنم

---

(1) (الرئم) الظبي الخالص البياض.

(2) (الجؤذر) ولد البقر الوحشية .

(3) (الأجم) جمع أجمة الشجر الكثير الملتف وهو مسكن الأسد.

أفـديك ألفـاً ولا آلـو الخيـال فـدًى أغـراك بالبخـل مـن أغـراه بالكـرم

سـرى فصـادف جرحـاً دامياً فأسـا ورب فضـلٍ عـل العشـاق للخُلُـم

مـن المـوائس [1] بانا بالـرِّي وقنـاً اللاعبـات بروحـي السـافحات دمـي

السـافرات كأمثـال البـدور ضـحى يغـرن شمـس الضـحى بالحلي والعصـم

القَـاتِلاَتُ بأجفـان بهـا سـقم وللمنيـة أسـباب مـن السـقم

العـاثرّاتُ بألبـابِ الرجـال ومـا أقلـن مـن عثـرات الـدَّلَّ في الرّسَـم

المضـرّماتُ[2] خـدوداً أسـفرت وجَلَـت عـن فتنـة تسـلم الأكبـاد للضَّـرَم

الحـاملات لـواء الحسـن مختلفـاً أشـكاله وهـو فـرد غـير منقسـم

مـن كـل بيضـاء أو سمـراء زينتـا للعـين والحسـن في الآرام كالعصـم[3]

---

(1) (الموائس) جمع مائسة وهي المتبخرة.

(2) (الضرم) اشتعال النار

(3) (العصم) هي بياض اليدين

يـرّعن[١] للبصـر السـامي ومـن عجـب إذا أشــرن أســرن الليــث بالغــم[٢]

وضـعت خـدي وقسـمت الفـؤاد رُبَيَّ يـرتعن في كُـنس[٣] منـه وفي أكَـم [٤]

يا بنــت ذي اللبــد المحمــي جانبــه ألقاك في الغاب أم ألقاك في الأُطُم[٥]

مـا كنـت أعلـم حـتى عـنَّ[٦] مسـكنه أن المــنى والمنــايا مضــرب الخــيم

من أنبت الغصن من صمصامَةٍ[٧] ذكر وأخـرج الـرَّيمَ مـن ضِـرغامَةٍ[٨] قـرم[٩]

بيـني وبَينَـكَ مـن سمـر القنـا حجـب ومثلهــا عفــة عذريــة العِصــم[١٠]

لم أغـش مغنـاك إلا في غضـون كـرًى مغنــاك ابعــد للمشــتاق مــن إرَم

---

(١) (يرعن) يخفن

(٢) (العم) شجرة حجازية لها ثمرة حمراء تشبه بها البنان المخضوبة.

(٣) (الكنس) هو مستقر الغلباء في الشجر.

(٤) (الاكم) جمع أكمه وهي الموضع يكون اشد ارتفعا مما حوله

(٥) (الاطم) القصر وكل حصن مبني بالحجارة

(٦) عن الشيء بان وظهر

(٧) (الصمصامة) السيف

(٨) (الضراغمة) الأسد

(٩) (العرم) شديد الشهوة إلى اللحم وهي هنا كناية عن شدة البأس والافتراس

(١٠) (العصم) جمع عصمة وهي المنع والحفظ

يانفــس دنيــاك تخفــي كــل مبكيــة وإن بــدا لــك منهــا حســن مُبتســم

فــض بتقــواك فاهــاَ كلمــا ضــحكت كــم يفــض أذى الرَّقشَــاء[1] بالثــرَم

مخطوبــة منــذ كــان النــاس خاطبــة مــن أول الــدهر لم ترمِــل ولم تــئم[2]

يفــيِ الزمــان ويبقــى مــن إســاءَتها جــرح بآدم يبكــي منــه في الأدَم[3]

لا تخفلـــي بجناهـــا أو جنايتهـــا المـوت بالزهـر مثـل المـوتِ بالفحـم

كــم نائــم لا يراهــا وهــي ســاهرة لــولا الأمــانيّ والأحــلام لم يــنم

طــوراً تمــد في نعمــي وعافيــة وتارة في قــرار البــؤس والوَصَــم[4]

كـم ضَـللتكَ ومـن يحجـب يصـير منـه إن يَلـقَ صـاباً[5] يـرد أو علقمـاً يَسُـمِ

---

(1) (الرقشاء) من الحيات المنقطة بالسواد والبياض

(2) (الثم) كسر السن من أصلها

(3) الأيم لا زوج لها

(4) (الوصم) بالتحريك الالم والمرض

(5) (الصاب) شجر مر

يا ويلتـــاه لنفســـي راعهـــا ودَهـــا [1] مسـودة الصُّـحفِ في مبيضـة اللمَـم[2]

ركَضـــتُها في مريـــع المعصـــيات ومـــا أخـذت مـن حميـة الطاعـات للـتِخَم

هامـــت علـــى أثـــر اللـــذات تطلبهـــا والـنفس أن يَـدعها داعـي الصـباتهم

صـــلاح أمـــرك للأخـــلاق مرجعـــه فقـــوّمِ الـــنفس بالأخـــلاق تســـتقم

والـنفس مـن خيرهـا في خـير عافيـة والـنفس مـن شـرها في مرتـع وخـم

تطغـى إذا مكنـت مـن لـذةٍ وهـوى طغى الجياد إذا عضت على الشكم

إن جَـلّ ذنـبي عـن الغفـران لي أمـل في الله يجعلـــني في خـــير معتصـــم

ألقـي رجـائي إذا عـز المجـير علـى مفـرج الكـرب في الـدارين والغمـم

إذا خفضـــت جنـــاح الـــذل اســـأله عـزَّ الشـفاعة لم أسـأل سـوى أَمـم[3]

وان تقـــدم ذو تقـــوى بصـــالحة قـــدمت بـــين يديـــه عـــبرة النـــدم

---

(1) "دها"أي دهاها

(2) "اللمم" جمع لمة وهي الشعر يجاور شحمة

(3) "الأمم" اليسير

لزمـــت باب أمـــير الأنبيـــاء ومـــن ... يُمسِـــك بمفتـــاح باب الله يغتـــنم

فكـــل فضـــل وإحســـان وعارفـــةٍ ... مـــا بـــين مســـتلم ومنـــه وملتـــزم

علقـت مـن مدحـه حـبلا أعـز بـه ... في يـوم لا عـز بالأنسـاب واللّحـم[1]

بـزري قريضـي زهـيرا حـين أمدحـه ... ولا يقـاس إلى جـودي نـدى هَـرِم

محمـــدٌ صـــفوة الهـــادي ورحمتـــه ... وبغيـــة الله مـــن خلـــق ومـــن نســـمِ

وصـاحب الحـوض يـوم الرسـل سـائلة ... مـتى الـورود وجبريـل الأمـين ظمـي

ســـناؤه وســـناه الشـــمسُ طالعـــة ... فـــالجرم في فلـــك والضـــوء في علـــم

قـد أخطـا الـنجم مـا نالـت أبوتـه ... مـــن ســـؤدد باذخ في مظهـــر ســـم

نمُـوا إليـه فـزادوا في الـورى شـرفا ... ورب أصـل لفـرع في الفخـار نمـي

حـواه في سـبحات الطهـر قـبلهم ... نـوران قامـا مقـام الصـلب والـرحم

---

(1) للحم" جمع لحة وهي القرابة

لمـــا رآه بحـــيرا قـــال نعرفـــه بمـا حفظنـا مـن الأسمـاء والسـيم

سـائل حِـرَاء وروح القـدس عَلمِـا مصـون سـر عـن الإدراك منكـتم

كـم جيئـةٍ وذهـاب شـرفت بهمـا بطحـاء مكـة في الإصـبَاحِ والغَسَـم[1]

ووحشـة لابـن عبـد الله بينهمـا أشـهى مـن الأنـس بالأحبـاب والحشـم

يسـامر الـوحي فيهـا قبـل مهبطـة ومـن يبشـر بسـيما الخـير يتسـم

لما دعا الصحب يستسقون من ظمأ فاضت يداك من التسنيم بالسنم [2]

وظللتـه فصـارت تسـتظل بـه غمامـة جـذبتها خـيرة الـديم

محبـة لرسـول الله أشـربها قعائـد الـدير والرهبـان في القمـم

إن الشـمائل إن رقـت يكـاد بهـا يُغـري الجمـاد ويغـوي كـل ذي نَسَـم

ونـودي اقـرَأ تعـالى الله قائلهـا لم تتصـل قبـل مـن قيلـت لـه بفـمِ

([1])"الغم" الإمساء وظلمة الليل

([2]) "التسنيم" ماء بالجنة يجري فوق الغرف وسنم الإناء تسنيما ملأه

هنـــاك أذّنَ للـــرحمن فـــامتلأت أسمـــاع مكـــة مـــن قدســـيةِ الـــنغم

فـلا تسـل عـن قـريش كيـف حيرتهـا وكيـــف نفرتهـــا في الســـهل والعلـــم

تســـاءلوا عـــن عظـــم قـــد ألم بهـــم رمـــى المشـــايخ والولـــدان باللمـــم [1]

يا جـــاهلين عـــل الهـــادي ودعوتـــه هـــل تجهلـــون مكـــان الصـــادق العلـــم

لقبتمـــوه أمـــين القـــوم في صـــغر ومـــا الأمـــين عـــل قـــول بمـــتهم

فـــاق البـــدور وفـــاق الأنبيـــاء فكـــم بالخلـق والخلـق مـن حسـن ومـن عظـم

جـــاء النبيـــون بالآيات فانصـــرمت وجئتنـــا بحكـــيم غـــير منصـــرم

آياتـــه كلمـــا طـــال المـــدى جـــددُ يـــزينهن جـــلالُ العتـــق والقـــدم

يكـــاد في لفظـــة منـــة مشـــرفة يوصـــيك بالحـــق والتقـــوى وبالـــرحمِ

يا أفصـــح النـــاطقين الضـــاد قاطبـــةً حـــديثك الشـــهد عنـــد الـــذائق الفهـــم

---

(1) "اللمم" محركة الجنون

حليت من عطل جيد البيان به ... في كل منتشر في حسن منتظم

بكل قول كريم أنت قائله ... تحيي القلوب وتحيي ميّت الهمم

سرَت بشار بالهادي ومولده ... في الشرق والغرب مسرى النور في الظلم

تخطفت مهج الطاغين من عرب ... وطيرت أنفس الباغين من عجم

ريعت لها شرف الإيوان فانصدعت ... منم صدمة الحق لا من صدمة القدم

اتبت والناس فوضى لا تمر بهم ... إلا على صم قد هام في سم

والأرض مملوءة جوراً مسخرة ... لكل طاغية في الخلق محتكم

مسيطر الفرس يبغي في رعيته ... وقيصر الروم من كبر أصم عمي

يعذبان عباد الله في شبه ... ويذبحان كما ضحيت بالغنم

والخلق يفتك أقواهم بأضعفهم ... كالليث بالبهم أو كالحوت بالبلم [1]

---

(1) "البلم" صغار السمك

أســـرى بـــك الله لـــيلاً إذ ملائكـــة ... والرسل في المسجد الأقصى على قدم

لمـــا خطـــرت بـــه التفـــوا بســـيدهم ... كالشـــهب بالبـــدر أو كالجنـــد بالعلـــم

صـــلى وراءك مـــنهم كـــل ذي خطـــر ... ومـــــن يفـــــز بحبيـــــب الله يأتمـــــم

جبـت السـموات أو مـا فـوقهن بهـم ... علـــــى منـــــورةٍ دريـــــةِ اللجـــــم

ركوبـــة لـــك مـــن عـــز ومـــن شـــرف ... لا في الجيـــاد ولا في الأيُنـــقِ الرســـم

مشـــيئة الخـــالق البـــاري وصـــنعته ... وقـــدرة الله فـــوق الشـــك والـــتهم

حـــتى بلغـــت ســـماء لا يطـــار لهـــا ... علـــى جنـــاح ولا يســـعى علـــى قـــدم

وقيـــل كـــل نـــبي عنـــد رتبتـــه ... ويا مُحَمَّد هـــذا العـــرش فاســـتلم

خططـــت للـــدين والـــدنيا علومهمـــا ... يا قـــارئ اللـــوح بـــل يا لامـــس القلـــم

أحطـــت بينهمـــا بالســـر وانكشـــفت ... لـــك الخـــزائن مـــن علـــم ومـــن حكـــم

وضـاعفت القـرب مـا فُلّـدتَ مـن مِـنن ... بـــلا عـــداد ومـــا طوقـــت مـــن نعـــم

سل عصبة الشرك حول الدار سائمة ... لــولا مطــاردة المختــار لم تســم

هــل أبصــر والأثــر الوضــاء أم سمعــوا ... همــس التســابيح والقــرآن مــن أمــم[1]

وهــل تمثــل نســج العنكبــوت لهــم ... كالغابات والحائمات الزّغبُ كالرّخم[2]

فــأدبرُوا ووجــوه الأرض تلعــنهم ... كباطــل مــن جــلال الحــق منهــزم

لــولا يــدُ الله بالجــارَينِ مــا ســلما ... وعينــه حــولُ ركــن الــدين لم يقــم

تــواريا بجــانح الله واســتتروا ... ومــن يضــمَ جنــاحُ الله لا يُضــم

يا أحمــدَ الخــيرِ لي جــاه بتســميتي ... وكيــف لا يتســامى بالرســولِ سمَــيِ

المــادحونَ وأربابُ الهــوى تبــعٌ ... لصــاحب الــبردة الفيحــاء ذي القَــدَم

مديحــه فيــك حــب خــالص وهــوى ... وصــادق الحــب يملــي صــادق الكلــم

الله يشــــهد أني لا أعارضــــه ... من ذا يعارض صوب العارض العرم[3]

---

(1) "من أمم" من قرب

(2) "الحائمات الزغب" الحمام

(3) العرم يرد المطر الشديد

وإنمـــا أنا بعـــضُ الغـــابطين ومـــن ... يغـــبط وليـــك لا يُـــذمم ولا يُلـــمِ

هـــذا مقـــام مـــن الـــرحمن مقتـــبس ... ترمـــي مهابتـــه ســـحَبَان بالـــبكَم

البـــدر دونـــك في حســـن وفي شـــرف ... والبحـــر دونـــك في خـــير وفي كـــرم

شـــم الجبـــال إذا طاولتهـــا انخفضـــت ... والأنجـــم الزهـــر مـــا واسمتهـــا تَسُـــم

والليـــث دونـــك بأســـاً عنـــد وثبتـــه ... إذا مشيت إلى شاكي السلاح كَمي[1]

تهفـــو إليـــك وإن أدميـــت حبتهـــا ... في الحـــرب أفئـــدة الأبطـــال والـــبُهُم

محبـــــة الله ألقاهـــــا وهيبتـــــهُ ... علـــى ابـــن آمنـــةٍ في كـــل مصـــطَدَم

كـأن وجهـك تحـت النفـع بـدر دجًـى ... يضـــيء ملتمـــا أو غـــيرَ ملـــتم

بـــدر تطلـــع في بـــدر فغرتـــه ... كغـــرة النصـــر تجلـــوا داجـــيَ الظلَـــمِ

ذكـــرتَ بالـــيم في القـــرآن تكرمـــةً ... وقيمـــة اللؤلـــؤ المكنـــون في الـــيمِ

---

(1) (الكمي) لا بس السلاح

الله قسّـــم بـــين النـــاس رزقَهـــم وأنـــت خـــيرت في الأرزاق والقِسَـــم

إن قلتَ في الأمر لا أو قلت فيه نعم فخـــيرة الله في لا منـــك أو نَعِـــم

أخـوك عيسـى دعـا ميتـاً فقـام لـه وأنـت أحييـت أجيـالا مـن الـرِمَم

والجهـل مـوتُ فـان أوتيـت معجـزة فابعث من الجهل أو فابعث من الرجَم

قـالوا غـزوتَ ورسـل الله مـا بعثِـوا لقتـل نفـس ولا جـاؤا لسـفك دم

جهـلٌ وتضـليلُ أحـلام وسفسـطة فتحـت بالسـيف بعـد الفـتح بالقلـم

لمـا أتـى لـك عفـواً كـل ذي حسـب تكفـل السـيف بالجهـال والعَمَـم

والشـر إن تلقـه بالخـير ضِـقتَ بـه ذرعـاً وإن تلقـه بالشـر ينحَسـم

سـل المسـيحية السـمحاء كـم شـربت بالصـاب مـن شـهوات الظـالم الغَلَـمِ[1]

طريـدة الشـرك يؤذيهـا ويوسِـعُها في كـل حـين قتـالا سـاطِع الحـدَمِ[2]

([1]) الغلم الهائج الثائر الشهوة

([2]) "الحدم" بالتحريك شدة احتراق النار وحمها

لــولا حمــاةُ لهــا هبــوا لنصــرتها بالسيف ما انتفعت بالرفق والرحُم[1]

لــولا مكــان لعيســى عنــد مرسِــلِه وحرمــة وجبــت للــروح في القــدَم

لَسـمّرَ البـدن الظهـر الشـريف علـى لــو حَــين لم يخــش مؤذيــة ولم يجُــم

جــل المســيح وذاق الصــلبَ شــانِئه إن العقــاب بقــدر الــذنب والجــرم

أخـــو النـــبي وروح الله في نـــزلٍ فــوق الســماء ودون العــرش محــترم

علمــتهم كــل شــيء يجهلــون بــه حــتى القتــال ومــا فيــه مــن الــذمم

دعــوتهم لجهــادٍ فيــه ســؤدُدهُم والحــرب أس نظــام الكــون والأمــم

لــولاه لم نــر الــدولات في زمــن مــا طــال مــن عمــد أوقــر مــن دعــم

تلــك الشــواهد تــترى كــل آونــة في الأعصر الغر لا في الأعصر الدُهُمِ

بالأمس مالت عروش واعتلت سررُ لــولا القنابــل لم تــثُلم ولم تصَــمِ

---

(1) "الرحم" الرقة والمغفرة والتعطف

أشياع عيسى أعدوا كل قاصمة ... ولم نعد سوى حالات منقَصم

مهما دُعيتَ إلى الهيجاء قمت لها ... ترمي بأسد ويرمي الله بالرُجم

على لوائكَ ومنهم كلُّ منتقم ... لله مستقتل في الله معتزم

مسبح للقاء الله مضطرم ... شوقاً على سابح كالبرق مضطرم

لو صادف الدهرَ يبغي نقلة فرمى ... بعزمه في رحال الدهر لم يَرم

بيضٌ مفاليلُ من فعل الحروب بهم ... من أسيف الله لا الهندية الخُذُمِ

كم في التراب إذا فتشت عن رجل ... من مات بالعهد أو من مات بالقسَم

لولا مواهب في بعض الأنام لما ... تفاوت الناس في الأقدار والقيم

شريعة لك فجرت العقول بها ... عن زاخر بصنوف العلم ملتطم

يلوح حول سنا التوحيد جوهرها ... كالحلي للسيف أو كالوشي للعلم[1]

([1]) "الوشى" النقش

سمحاء حامت عليها أنفسٌ ونهىً ومن يجد سلسَلاً ومن حِكمة يحم

نور السبيل يساس العالمون بها تكلفت بشباب الدهر والهم

يجري الزمان وأحكام الزمان على حكم لها نافذٍ في الخلق متسم

لما اعتلت دولة الإسلام واتسعت مشت ممالكه في نورها التمم

وعُلمت أمة بالفقر نازلة رعى القياصر بعد الشاء والنعم

كم شيَّدَ المصلحون العاملون بها في الشرق والغرب ملكا بازخ العظَم

للعلم والعدل والتمدين ما عزموا من الأمور وما شدوا من الحزمِ

سرعانَ ما فتحوا الدنيا لِملتهمِ وأنْهَلوا الناسَ من سَلسالها الشيم[1]

ساروا عليها هداة الناس فهي بهم إلى الفلاح طريق واضح العظم

لا يهدم الدهر ركنا شاد عدلهم وحائط البغي إن تلمسه يهدم

---

(1) الشم البارد

نالـوا السـعادة في الـدارين واجتمعـوا علـى عمـيم مـن الرضـوان مقتسـم

دع عنـك رومـا وأثينـا ومـا حـوتا كـل اليواقيـت في بغـداد والنـوَم[1]

وخـل كسـري وإيـوانا يـدلُّ بـه هـوى علـى أثـر النـيران والإيم[2]

واتـرك رعمسـيس إن الملـك مظهـره في نهضـة العـدل لا في نهضـة الهـرم

دار الشـرائع رومـا كلمـا ذكـرت دار السـلام لهـا ألقـت يـد السـلم

مـا ضـارعتها بيـانا عنـد ملتـئم ولا حكتهـا قضـاء عنـد مختصـم

ولا احتـوت في طـراز مـن قياصـرها علـى رشـيدٍ ومـأمون ومعتصـم

مـن الـذين إذا سـارت كتـائبهم تصـرفوا بحـدود الأرض والـتخم

ويجلسـون إلى علـم ومعرفـة فـلا يـدانون في عقـل ولا فهـم

يطـأطئ العلمـاء الهـام إن نبسـوا مـن هيبـة العلـم لا مـن هيبـة الحكـم

---

(1) جمع نومة وهي الحبة من الفضة تعمل على شكل العدسة.

(2) (الإيم) الدخان

ويمطـــرون فمـــا بالأرض مـــن محـــل ولا بمـــن بات فـــوق الأرض مـــن عـــدم

خلائـــف الله جلـــوا عـــن موازَنـــة فـــلا تقيســـنَّ أمـــلاك الـــورى بهـــم

مـــن في البريـــة كالفـــاروق معدلـــةً وكـــان عبـــد العزيـــز الخاشـــع الحشـــم

وكالإمـــام إذا مـــا فـــض مزدحمـــا بمـــدمع في مـــآقي القـــوم مـــزدحم

الزاخـــر العـــذب في علـــم وفي أدب والناصـــر النـــدب في حـــرب وفي ســـلم

أو كـــابن عفـــان والقـــرآن في يـــده يحنـــو عليـــه كمـــا تحنـــو علـــى الفطـــم

ويجمـــــع الآي ترتيبـــــا وينظمهـــــا عِقـــداً يجيـــد الليـــالي غـــيَر منفصـــم

جرحـــان في كبـــد الإســـلام مـــا التأمـــا جـــرح الشـــهيد وجـــرحُ بالكتـــاب دمَـــي

ومـــــا بـــــلاء أبي بكـــــر بمـــــتهم بعـــد الجلائـــل في الأفعـــال والخِـــدم

بالحـــزم والعـــزم حـــاط الـــدين في محـــن أضـــلت الحلـــم مـــن كهـــل ومحـــتلم

وحـــدن بالراشـــد الفـــاروق عـــن رشـــد في المـــوت وهـــو يقـــين غـــير منـــبهم

يجـــادل القـــوم مســـتلاً مهنـــده ... في أعظـم الرسـل قـدراً كيـف لم يـدم

لا تعــذلوه إذا طــاف الــذهول بــه ... مـات الحبيب فضـل الصـب عـن رغـم

يا رب صــلي وســلم مــا أردت علــى ... نزيــل عرشــك خــير الرســل كلهــم

محيـــي الليـــالي صـــلاةً لا يقطعهـــا ... إلا بـــدمع مـــن الإشـــفاق منســـجم

مســبحاً لــك جــنح الليــل محــتملا ... ضـر مـن السـهد أو ضـرا مـن الـوَرَم

رضـــية نفســـه لا تشـــتكي ســـأماً ... ومـا مـع الحـب إن أخلصـت مـن سـأم

وصـــل ربي علـــى آل لـــه نخـــب ... جعلـت فـيهم لـواء البيـت والحـرم

بيض الوجـوه ووجـه الـدهر ذو حلـك ... شـم الأنـوف وأنـف الحـادثات حمـي

واهـــد خـــير صـــلاة منـــك أربعـــة ... في الصـخب صـحبتهم مرعيـة الحـرُم

الـــراكبين إذا نادى النـــبيُّ بهـــم ... ما هـال من جلـل واشـتد من عمـم[1]

([1]) (العمم) الحادث العمم الطويل كربة الشديد مشتقة

الصـــابرين ونفـــس الأرض واجفـــةٌ الضـــاحكين إلى الأخطـــار والقُحـــم

يارب هبـــت شـــعوب مـــن منيتهـــا واســـتيقظت أمـــمٌ مـــن رقـــدة العـــدم

ســـعد ونحـــس وملـــك أنـــت مالَكـــه تـــديل مـــن نعـــمٍ فيـــه ومـــن نقـــم

رأي قضـــاؤك فينـــا رأيَ حكمتِـــه أكـــرم بوجهـــك مـــن قـــاض ومنـــتقم

فـــالطف لأجـــل رســـول العـــالمين بنـــا ولا تـــزد قومَـــه خَســـفاً ولا تســـمِ

يارب أحســـنتَ بِـــدءُ المســـلمين بـــه فـــتمم الفضـــلَ وامـــنح حســـن مختَـــتم

الهمزية

" في مدح سيد الكائنات ﷺ "

وُلــدَ الهُــدىَ فالكائنــاتُ ضــياءُ ... وفـــمُ الزمـــانِ تبســـمٌ وثنـــاء

(الــروحُ) والمــلأ الملائــكُ حَولــه ... للـــدين والـــدنيا بـــه بَشَـــراء

و(العـرش) يزهـو والحظـيرة تزدهـي ... والمنتهـــى و (الســـدرة) العصـــماء

وحديقــة (الفرقــان) ضــاحكة الــربَى ... بالترجمـــــان شـــــذية غنـــــاء

و(الوحى) يقطر سَلسَلاً من سلَسل ... و(اللـــوح) و (القلـــم) البـــدي رُواء

نظمت أسامي الرسلِ فهي صحيفةٌ ... في (اللـــوح) واســـم (مُحَمَّد) طغـــراء

اســم الجلالــة في بــديع حروفــه ... اســم هنالــك واســم (طــه) البــاء

يا خــيرَ مــن جــاء الوجــود تحيــة ... مــن مرســلين إلى الهــدَى بــك جــاءوا

بيـــت النبيـــين الـــذي لا يلتقـــي إلا الحنـــــائفَ فيـــــه والحنفـــــاء

خـــيرة الأبـــوة حـــازهم لـــك (آدم) دون الأنام وأحـــــــرزت حـــــــواء

هـــم أدركـــوا عـــز النبـــوة وانتهـــت فيهـــــا إليـــــك العـــــزة القَشـــــعَاءُ

خُلقـــت لبيتـــك وهـــو مخلـــوق لهـــا إن العظـــــائمَ كفؤهـــــا العظمـــــاء

بـــك بشَّـــر اللهُ السَّـــماءَ فزُينـــت وتضـــــوعت مســـــكا بـــــك الغـــــبراء

وبـــــدا محيـــــاك الـــــذي قســـــماته حـــــق وغرتـــــه هـــــدى وحيـــــاء

وعليـــه مـــن نـــور النبـــوة رونـــق ومـــــن الخليـــــل وهديـــــة سِـــــيماء

أثـــنى المســـيحُ عليـــه خلـــف سمائـــه وتهلـــــك واهتـــــزت (العـــــذراء)

يـــوم يتيـــه علـــى الزمـــان صـــباحه ومســـــــاؤه (بمحمـــــد) وضـــــاء

الحـــق عـــالي الـــركن فيـــه مظفـــر في الملـــــك لا يعلـــــو عليـــــه لـــــواء

ذَعـــرت عـــروش الظـــالمين فزلزلـــت وعلـــــت علـــــى تيجـــــانهم أصـــــداء

والنـــار خاويـــة الجوانـــب حـــولهم ... خُمِـــدَت ذوائبهـــا وغـــاض المـــاء

والآي تـــترى والخـــوارق جمـــةُ ... (جبريـــــلُ) رواح بهـــــا غـــــداء

نعـم اليتـيم بـدت مخايـلُ فضـله ... واليتـــــيم رزق بعضـــــه وذكـــــاء

في المهـد يُستسـقى الحيـا برجائـه ... وبقصـــــده تُســـــتدفع البأســـــاء

بسـوى الأمانـة في الصبا والصـدق لم ... يعرفـــه أهـــلُ الصـــدقِ والأمنـــاء

يا مـن لـه الأخـلاق مـا تهـوى العلـي ... منهـــا ومـــا يتعشـــقُ الكـــبراء

لـو لم تقـم دنيـا لقامـت وحـدها ... دنيـــا تضـــيء بنـــورة الآناء

زانتـك في الخلـق العظـيم شمائـل ... يغـــرب بهـــن ويولـــع الكرمـــاء

أمـا الجمـال فأنـت شمـس سمائـه ... وملاحـــة (الصـــديق) منـــك إياء

والحسـن مـن كـرم الوجـوِه وخـيره ... مـــا أوتي القـــواد والزعمـــاء

وإذا سَـخوتَ بلغـت بالجـواد المـدَى ... وفعلـــت مـــالا تفعـــل الأنـــواء

وإذا عفـــوت فقـــادراً ومقـــدرا لا يســـــتهين بعفـــــوك الجهـــــلاء

وإذا رحمـــــت فأنـــــت أمُ أو أبُ هـــذان في الـــدنيا هُمَـــا الرُّحمـــاء

وإذا غضـــبتَ فإنمـــا هـــي غضـــبةٌ في الحـــق لا ضـــغنُ ولا بغضـــاء

وإذا رضـــيت فـــذاك في مرضـــاته ورضـــى الكثـــير تحلُّـــمُ ورياء

وإذا خطبـــت فللمنـــابر هـــزَّةٌ تنســـى النـــدِيَّ وللقلـــوب بكـــاء

وإذا قضـــيت فـــلا ارتيـــاب كأنمـــا جـــاء الخصـــومَ مـــن الســـماء قضـــاء

وإذا حميـــت المـــاءلم يـــورد ولـــو أن القياصـــــرَ والملـــــوكَ ظِمـــــاء

وإذا أجـــرت فأنـــت بيـــت الله لم يـــدخل عليـــه المســـتجيرُ عَـــدَاء

وإذا ملكـــت الـــنفس قمـــت بِبِرِّهـــا ولـــو أن مـــا ملكـــت يـــداك الشـــاء

وإذا بنيـــت فخـــيرُ زوج عِشـــرةً وإذا ابتنيـــــتَ فـــــدونَكَ الآباء

وإذا صَـــحبتَ رأى الوفـــاءَ مجســـما في بُـــردِكَ الأصـــحابُ والخلطـــاءُ

وإذا أخـــذت العهـــد أو أعطيتـــه فجميـــع عهـــدك ذمـــة ووفـــاء

وإذا مشـــيت إلى العـــدى فَغضَـــنفزُ وإذا جريـــــت فإنـــــك النكبـــــاء

وتمـــد حلمـــك للســـفيه مـــداريا حـــتى يضـــيق بِعرضِـــك الســـفهاء

في كـــل نفـــس مـــن سَـــطاكَ مهابَـــة ولكـــــل نفـــــس في نـــــداك رجـــــاء

والـــرأس لم يـــنض المهنـــد دونـــه كالســـــيف لم تضـــــرب بـــــه الآراء

يا أيهـــا الأمـــيُّ حســـبُكَ رتبـــة في العلـــم أن دانـــت بـــك العلمـــاء

الـــذكرُ آيـــة ربـــك الكـــبرى الـــتي فيهـــا لبـــاغي المعجـــزات غنـــاء

صـــدر البيـــان لهـــذا التقـــت اللغـــى وتقـــــدم البلغـــــاء والفصـــــحاء

نُســـخِت بـــه التـــوراة وهـــي وضـــيئة وتخلـــف الإنجيـــل وهـــو (ذكـــاء)

لمـــا تمشـــي في الحجـــاز حكيمـــة قضّـــت (عكـــاظ) بـــه وقـــام (حِـــرَاء)

أزري بمنطـــــق أهلـــــه وبيـــــانهم وحـــــيُ يقصَّـــــر دونـــــه البلغـــــاء

حسدوا فقالوا شاعر أو ساحر ومن الحَسُود يكون الاستهزاء

قد نال (بالهادي) الكريم (وبالهدى) ما لم تنل من سؤدَدٍ سيناء

أمسى كأنك من جلالك أمة وكأنه من أنسه بيداء

يوحي إليك الفوزَ في ظلمائه متتابعا تُجلى به الظَّلماءُ

دين يشيد آية في آية لبنائه السورات والأضواء

الحق فيه هو الأساس وكيف لا والله جلَّ جلاَلَه البناء

أما حديثك في العقول فمشَرعُ والعلم والحِكَم الغوالى الماء

هو صِبغة الفرقان نفحة قدسه والسين من سوراته والراء

جرت الفصاحة من ينابيع النهى من دوحة وتفجر الإنشاء

في بحره للسابحين به تلى أدب الحياة وعلمها إرساء

أتت الدهور على سُلافته ولم تفن السُّلاف ولا سَلا الندماء

***

بـك يا (ابـن عبـد الله) قامـت سمحـةُ بالحـــق مـــن مِلـــل الهـــدى غـــراء

بنيـت علـى التوحيـد وهـو حقيقـة نادى بهـــا سُـــــقراطُ والقـــــدماء

وجَـدَ الزعـافَ مـن السـموم لأجلهـا كالشـــــهد ثم تتـــــابع الشـــــهداء

ومشـى علـى وجـه الزمـان بنورهـا كُهَّـــــان وادي النيـــــل والعرفـــــاء

إيـزيس ذات الملـك حـين توحـدت أخـــذت قِـــوَامَ أمورهـــا الأشـــياء

لمـــا دعـــوت النـــاس لـــبى عاقـــل واحـــم منـــك الجـــاهلين نـــداء

أبـوا الخـروج إليـك مـن أوهـامهم والنـــــاس في أوهـــــامهم ســـــجناء

ومـــن العقـــول جـــدَاولٌ وجلامـــدٌ ومـــــن النفـــــوس حرَائـــــرٌ وإمـــــاء

داء الجماعـــة مـــن أرســـطاليس لم يوصـــــف لـــــه مـــــتى أتيـــــت دواء

فرسمـــت بعـــدك للعبـــاد حكومـــة لا ســـــــوقة فيهـــــا ولا أمـــــراء

الله فـــوق الخلـــق فيهـــا وحـــده والنـــاس تحـــت لوائهـــا أكفـــاء

والـــدين يســـر والخلافـــة بيعـــة والأمـــر شـــورى والحقـــوقُ قضـــاء

الاشـــتراكيون أنـــت إمـــامهم لـــولا دعـــاوَى القـــومِ والغلـــوّاء

داويـــت متئـــداً ودَاوَوا طفـــرة وأخـــف مـــن بعـــض الـــدواء الـــداء

الحـــرب في حـــق لـــديك شـــريعة ومـــن الســـموم الناقعـــاتِ دواء

والـــبر عنـــدك ذمـــة وفريضـــة لا مِنـــــةٌ ممنونـــــةٌ وجِبـــــاء

جـــاءت فوحـــدت الزكـــاة ســـبيله حـــتى التقـــى الكرمـــاء والـــبخلاء

أنصفتَ أهل الفقر من أهل الغنى فالكـــل في حـــق الحيـــاة ســـواء

فلـــو أن إنســـانا تخـــير ملـــة مـــا اختـــار إلا دينـــك الفقـــراء

يا أيهـــا المســـرى بـــه شـــرفا إلى مـــا لا تنـــال الشـــمس والجـــوزاء

يتســـاءلون وأنـــت أطهـــر هيكـــل بالـــــروح أم بالهيكـــــل الإســـــراء

بهمـــا ســـموتَ مطهـــرين كلاهمـــا نـــــــور وروحانيـــــــة وبهـــــــاء

فضـــلٌ عليـــك لـــذي الجـــلالِ ومنـــةٌ والله يفَعـــــل مـــــا يـــــرى ويشـــــاء

تغشـــى الغيـــوب مـــن العـــوالم كلمـــا طويـــــت ســـمـــــاء قلـــــدتك ســمـــــاء

في كـــل منطقـــة حواشـــي نورهـــا نُـــونٌ وأنـــــت النقطـــــة الزهـــــراء

أنـــت الجمـــال بهـــا وأنـــت المُجتلَـــى والكـــــــف والمـــــــرآة والحســـــــناء

الله هيـــأ مـــــن حظـــيرة قدســـــه نـــــزلا لِـــــذاتك لم يَجـــــزهُ عـــــلاء

العـــرش تحتـــك ســـدة وقوائمـــا ومناكـــــب الـــــروح الأمـــين وطـــــاء

والرسـل دونـك العـرش لم يـؤذن لهـم حاشـــــا لغـــــيرك موعـــــدُ ولقـــــاء

***

الخيـــلُ تأبى غـــير أحمـــدَ حاميـــا وبهـــــا إذا ذكـــــر اسمـــــه خـــــيلاء

شـيخ الفـوارس يعلمـون مكانـه أن هيَّجـت آسـادها الهيجـاء

وإذا تصـدى للظبـا فمهنـد أو للرمـاح فصـعدَة سمـراء

وإذا رمـى عـن قوسـه فيمينـه قَـدّرُ ومـا ترمِـي اليمـينُ قضـاء

مـن كـل داعـي الحـق همـة سـيفه فلسـيفه في الراسـيات مَضَـاء

سـاقي الجريح ومطعـمُ الأسرى ومـن أمنـت سَـنابكُ خيلـه الأشَـلاء

أن الشـجاعة في الرجـال غلاظـة مـا لم يزنهـا رأفـة وسـخاء

والحرب من شرف الشعوب فإن بغوا فالمجـد ممـا يـدَّعون بـراء

والحـرب يبعثهـا القـويُّ تجـبراً وينـوء تحـت بلائهـا الضـعفاء

كـم مـن غـزاةٍ للرسـولِ كريمـةٍ فيهـا رضـىً للحـق أو إعـلاء

كانـت لجنـدِ الله فيهـا شـدة في إثرهـا للعـالمين رخـاء

ضـربوا الضـلالة ضـربة ذهبـت بهـا فعلـى الجهالـة والضـلال عَفـاء

دعَموا على الحرب السلام وطالما حَقَنت دماءَ في الزمانِ دِماء

الحق عرض الله كلُّ أبيةٍ بين النفوس حمى له ووفاء

هل كان حوله (مُحَمَّد) من قومه إلا صبيٌّ واحدُ ونساء

فدعا فلبى في القبائل عصبة مستضعفون قلائلُ أنضاء

ردوا ببأس العزم عنه من الأذى ما لا يردُّ الصخرة الصماء

والحق والإيمان إن صبًّا على بردٍ فيه كَتيبةٌ خرساء

نفوا بناء الشرك فهو خرائبُ واستأصلوا الأصنامَ فهي هَباء

يمشون تغضي الأرض منهم هيبة وبهم خيال نعيمها أغضاء

حتى إذا فُتحَت لهم أطرافها لم يطغهم ترف ولا نعماء

***

يا من له عِزُّ الشفاعة وحده وهو المنزه ما له شُفَاء

عرش القيامةِ أنت تحت لوائه والحوض أنت حيالَه السقّاء

تــروي وتســقي الصــالحين ثــوابهم والصـــــالحات ذخـــــائر وجـــــزاء

ألمثـل هـذا ذقـت في الـدنيا الطـوى وانشـــق مـــن خلـــق عليـــك رِدَاء

لي في مــديحك يا رســول عــرَائسُ تـــيمن فيـــك وشـــاقهن جـــلاء

هــن الحِســان فــإن قبلــت تكرمــا فمهـــــورهن شـــــفاعة حســـــناء

أنــت الــذي نظــمَ البريــة دينــه مـــاذا يقـــول ويـــنظم الشـــعراء

المصــلحون أصــابع جمعــت يــدا هــي أنــت بــل أنــت اليــد البيضــاء

مـا جئـت بابَـكَ مادِحـاَ بـل داعيـاَ ومـــن المـــديح تضـــرع ودعـــاء

أدعـوك عـن قـومي الضـعاف لازمـة في مثلهـــا يلقـــى عليـــك رجـــاء

أدري رســـول الله أن نفوسَـــهم رَكِبـــت هواهـــا والقلـــوب هـــواء

متفككــون فمــا تضــم نفوســهم ثقـــةً ولا جمـــع القلـــوبَ صـــفاء

رَقــدوا وغرهمــوا نعــيم باطــل ونعـــيم قـــومٍ في القيـــودِ بـــلاء

ظلمـــوا شـــريعتك الـــتي نلنـــا بهـــا مـــــا لم ينـــــل في (رومـــــة) الفقهـــــاء

مشـت الحضـارة في سـناها واهتـدى في الـــــدين والـــــدنيا بهـــــا الســـــعداء

صـلى عليـك الله مـا صـحب الـدجى حـــــادٍ وحنـــــت بالفـــــلاَ وَجنـــــاء

واســـتقبل الرضـــوانُ في غرفـــاتِهم بجنـــــان عـــــدن آلـــــك الســـــمحاء

خـير الوسـائل مَـن يقـع مـنهم علـى ســـــبب إليـــــك فحســـــبي (الزهـــــراء)

ذكرى المولد

بـــه هجـــرُ يتيمـــه كـــلا جفينـــك يعلمـــه

همـــا كـــادا لمهجتـــه منـــك الكيـــد معظمـــه

تعذبـــه بســـحرها وتوجِـــدُهُ وتعدِمـــهُ

فـــلا هـــاروتَ رق لـــه ولا مـــاروتَ يرحمـــه

وتظلمـــه فـــلا يشـــكو إلى مـــن لـــيس يظلمـــه

أســـرَّ فمـــات كتمـــانا وباحَ فخانـــه فمـــه

فـــويح المـــدنف المعمـــود حـــتى البـــثَ يحرمـــه

طويـــل الليـــل ترجمـــه هواتفـــه وأنجمـــه

إذا جـــد الغـــرام بـــه (جـــرى في دمعـــه دمـــه)

يكـــاد لعـــده أبـــداً يعـــادي الســـقم يســـقمه

ثـــنى الأعنـــاق عـــوده وألقـــى العـــذرَ لومـــهُ

قضـى عشـقا سـوى رمـق إليـــك غـــدا يقدمـــه

عسى إن قيل مات هوى تقـــــول الله يرحمـــــه

فتحيـــا في مراقـــدها بلفـــظ منـــك أعظمـــه

***

بروحـــي البـــان يـــوم رنا عـــن المقـــدور أعصـــمه

ويـوم طعنـت مـن غصـن منعمـــــــه معلمـــــــه

قضـــــاء الله نظرتـــــه ولطـــــف الله مبســـــمه

رمـى فاسـتهدفت كبـدي بي الرامـــــي وأســـــهمه

لــه مــن أضــلعي قــاعُ ومـــن عجـــب يســـلمه

ومـــن قلـــبي وحبتـــه كـــــاس بات يهدمـــــه

غـــزال في يديـــه التيـــه بـــين الغيـــد يقســـمه

كأن أباه مر (بأحمد الهادي) يكلمـــــــــــــــــه

***

نـــبي الـــبر والتقـــوى منـــار الحـــق مطلعـــه

معـــاني (اللـــوح) أشـــرفها رســـــالته ومقدمـــــه

لـــه في الأصـــل أكـــرمهم عريـــق الأصـــل أكرمـــه

(خليـــل) الله معدنـــه فكيـــف يزيـــف دِرهمـــه

أبـــوة ســـؤددٍ أخـــذت بقـــرن الشـــمس تزحمـــه

(ذبيجـــــون) كلهـــــم أمـــــير البيـــــت قيمـــــه

تلاقَـــوا فيـــه أطهـــاراً بســـــــيماهم تســـــــموه

فـــنعم الغمـــد آمنـــةُ ونعـــم الســـيف لهذمـــه

ســرى في طهــر هيكلهــا كســـري المســـك يفعمـــه

يتيمـــــا في غلالتهـــــا تعـــــالى الله موتمـــــــه

تـــــزف الآي محملـــــه إلى الـــــدنيا وتقدمـــــــه

ويمشـــي نـــور (أحمـــد) في ظَـــلاَم الجهـــل يهزمـــه

وفي النـــــيران يخـــــدمها وفي الإيـــــوان يُثملـــــــه

وفي المعـــوج مـــن ديـــن ومـــــن دنيـــــا يقومـــــه

فلمـــا تم مـــن طُهُـــر ومـــن شـــرف تقسَّـــمه

تجلـــى مولـــد الهـــادي يضـــيء الكـــون موسمُـــه

هلمـــوا أهـــل ذا النـــادي علـــى قـــدم تعظمـــه

بـــدرا تســـتقبل الـــدنيا بـــه خـــيراً توسَمَـــه

يجملهـــا تهللـــه ويجليهـــا تبســـمه

إلى الـــرحمن جبهتـــه ونحـــو جلالهـــا فمـــه

وفي كتفيـــه نـــور الحـــق وضـــاح وروسمـــه

يتـــيم في جنـــاح الله يرعـــاه ويعصـــمُه

فمـــن رحـــم اليتـــيم ففـــي (رســـول الله) يرحمـــه

يقـــوم بـــه عـــن الأبـــوين (جبريـــل) ويخدمـــه

وترضـــعه فتـــاة الـــبر مـــن (ســـعد) وتفطمـــه

ويكفلـــه موشـــى الـــبر دِ يـــوم الفخـــر معلمـــه

***

نـــبي الـــبر علمـــه وجـــاء بـــه يعلمـــه

أبـــر الخلـــق عاطفـــة وأسمحـــــةُ وأحلمـــــه

وأصـــــبره لنائبـــــة ومحـــــذور بجشـــــمه

لكـــل عنـــده في الـــبر حـــق لـــيس يهضـــمه

وفى الأهـــل والأتبـــا ع والمســـكين يطعمـــه

ســحاب الجــود راحتــه وفي برديـــــه عَيلمُـــــه

ومـــا الـــدنيا وان كثـــرت ســـوى خـــير تقدمـــه

يضـــيء القـــبر موحشـــه عليـــك بـــه ومظلمـــه

وتغنمـــــــــــه إذا ولى عـــن الإنســـان مغنمـــه

نظـــام الـــدين والـــدنيا أتـــيح لـــه يتممـــه

تطلـــــع في بنائهمـــــا علـــى التوحيـــد يدعمـــه

بشـــرع هـــام في النـــاس هاشمـــــه وأعجمـــــه

كضـــوء الصـــبح بينـــه وكالبنيـــــان محكمـــــه

بيـــان جـــل موحيـــه وعلـــى عـــز ملهمـــه

(حكـــــيم الـــــذكر) بين الكتب مظهره وميسمه[1]

وكـــم للحـــق مـــن غـــاب رســـــول الله ضـــــيغمه

لـــه الغـــزوات لا تُحصـــى ولا يحصـــــى تكرمـــــه

(1) الميسم الحديدة أو آلة تسم بها أثر الوسم واليسم الجمال والحسن أيضا وهو المقصود هنا---

تكـــاد تقيـــد الإســـداء قبـــل الســـيف أنعمـــه

أمـــين قـــريش اختلفـــت فجاءتـــــه تحكمـــــه

صـــبيا بـــين فتيهـــا إليـــه الأمـــر يرسمـــه

وإن أمانـــة الإنســـان في الـــدنيا تقدمـــه

زكـى القلـب طهـر مـن هـــوى وغوايـــة دمـــه

عفيـف النـوم يصـدق مـا يـــرى فيـــه ويحلمُـــه

وخلوتـــه إلى ملـــك علـــى حلـــم يحلمـــه

يفـيض عليـه مـن وحـي فيفهَمُـــــهُ ويُفهِمُـــــه

كتـاب الغيـب مفضـوض لـــــه باد محكَمـــــه

مبـــين فيـــه مـــا يأتي ومـــا ينـــوى ويعزمـــه

ويظهـــر كـــل معجـــزة لشـــــــانيه فيفحمـــــــه

فغاديـــــــة تظللـــــــه وباغمـــــــة تكلمـــــــه

تـــروي الجـــيش راحتـــه إذا استســـــقى عرمرمـــــه

ويســتهدي الســماء حيــا لســـــــائله فتســـــــجمه

وترســـل ســـهم دعوتـــه إلى البـــــاغي فيقصـــــمه

تبـــارك مـــن بـــه أســـرى وجـــــــل الله مكرمـــــــه

يُرِيـــه بيتـــه الأقصـــى ويطلعـــــــه ويعلمـــــــه

علـــى ملـــك أمـــين الله مســـــــرجه وملجمـــــــه

معـــارج الســـموات العلـــى والعـــــــرش ســـــــلمه

فلمـــا جـــاء ســـدرته وكـــان القـــرب أعظمـــه

دنا فــرأى فخــر فكــان مـــن قوســـين مجشـــمه

(رســول الله) لــن يشــقى ببابـــك مـــن يممـــه

وأيــن النــار مــن بشــر بســـــدته تحرمـــــه

لــواء الحشــر بــين يــديك يـــوم الـــدين تقدمـــه

شــفيعا فيــه يــوم يلــ وذ بالشـــفعاَء مجرمـــه

ففـــي يمنـــاك جنتـــه وفي اليســـرى جهنمـــه

أنا المرحـــوم يومئـــذ بـــدر فيـــك أنظمـــه

ولا مَـــنُّ عليـــك بـــه فمـــن جـــدواك منجمـــه

أينطــق حكمــة وحجــا لســـــان لا تقومـــــه

خلاصــي لســت أملكــه وفضـــلك لســـت أعدمـــه

ثــراك مــتى أطيــف بــه وأنشـــــــقه وألثمـــــــه

ففيـــه الخلـــق أعظمـــه وفيـــــه الخلـــــق أوسمـــــه

ســقاه مـــن نمــير (الخـــ لـــــد) كـــــوثره وزمزمـــــه

ولا برحـــــت معطـــــرة مـــــن الصـــــلوات تلزمـــــه

دول العرب

"وضع شاعرنا في دول العرب منذ جاهليتها إلى أن أدال الله منها في الإسلام – ملاحم شعرية بين قصيد وأراجيز وموشحات، ملاحم ملأها بالأدب العالي، والخيال السامي والنقد التاريخي. أودع فيها ما شاء من الأحاديث والسير، والعظات والعبر، وضعها وهو في إسبانيا. ألم فيها بالدول الإسلامية العربية جمعاء ومن بينها الأندلس".

يا فطنـــا بســـير الكبـــار مقتتنـــا بغـــرر الأخبـــار

وطالـــب الجـــوهر في الـــتراجم ملـــتمس التـــبر مـــن المنـــاجم

جئتـــك بالبرجـــاس والمـــريخ [1] خصـــمين بـــين يـــدي التـــاريخ

قرنـــت خيرهـــا تقـــي وعلمـــا[2] بخيرهـــا سياســـة وحلمـــا [3]

([1]) (البرجاس) المشترى – معوب يعني بالبرجاس والمريخ عليا ومعاوية

([2]) (خيرها تقى وعلما) عليا

([3]) بخيرها سياسة وحلما معاوية

بل قرنت بينهما أيدي الغير[١] افترقا على التلاقي في السير

أبو الشهابين وهل يخفى القمر[٢] والثاقب الرأي اللعوب بالزمر[٣]

أو قيم الدين ولا أحابي وقيم الدنيا من الصحاب

عن ذكر الآباء جاء "بالقمر"[٤] جدا تمناه العتيق وعمر[٥]

---

(١) يريد بالغير ما شجر بين على ومعاوية

(٢) أبو الشابين على – والشهابان الحسن الحسين

(٣) والثاقب الرأي معاوية

(٤) عبد مناف وهو جدهما الذي يلتقيان فيه

(٥) العتيق أبو بكر

اعتذار

قلنا في فاتحة هذا الكتاب أنه قد يجد فيه الأديب والمتأدب ضروباً من الآداب العربية والأفكار العصرية كما نجد فيه الحكيم عبرة وعظة نافعة والسياسي آراء في السياسة صائبة وأنواعا من الدهاء مختلفة، ولكن شاءت الأقدار أن يكون عملنا مبتورا ووعدنا ناقصاً. وأن ينتهي مجهودنا عند هذا الحد فقد فوجئنا – ونحن في المرحلة الأولى من مراحل هذا الكتاب – بكتاب من الأستاذ وهيب دوس المحامي يرى لما فيه بناء على طلب من حضرة صاحب السعادة حارس لغة القرآن "أحمد شوقي بك" أن نقف عند هذا الحد من الكتاب وألا نتعداه وتوعدنا إذا نحن مضينا في طريقنا.

فلم يكن لنا بد من النزول على هذا الحكم، فأمسكنا مكرهين عن إتمام ما بدأناه مريدين وقد قصر هذا الإنذار من الجهد فلم يمتد إلى أبعد من هذه المرحلة.

فإذا كان في هذا الموقف ما يحمد فذاك أن ما اجتمع في هذا الكتاب إنما كان من باب واحد وهو المدح النبوي، فكأن روحانية النبي ﷺ قد أبت أن يذكر معه في هذا المقام سواه ليدل هذا الكتاب عليه وضح من سناه.

ونحن على هذا نحمد لحسان هذا العصر أنه أتاح لما فضل الأمل في أفضل مأمول وهو مُحَمَّد ﷺ فعسى أن يتقبل هذا العمل بالقبول وحسبنا ذلك وكفى.

توفيق الرافعي

الفهرس

مقدمة ٥

نهج البردة ٩

الهمزية ٢٩

ذكرى المولد ٤٣

دول العرب ٥٥

اعتذار ٥٧